اسم الدرس : تفسير سورة نوح

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بإذن الله -عز وجل- مجلس اليوم هو وقفات وتدبرات مع سورة نوح.

هذه السورة ربما لن نستطيع اليوم أن نتناولها بالتفسير التحليلي الدقيق، كما نفعل في بقية السور، لكن هي **وقفات سريعة** مع مضامين هامة في هذه السورة، قطعًا لن نستطيع أن نستوعب هذا في مجلس واحد، لكن نحن نمر هذا اليوم مرورًا سريعًا على **المواضيع العامة في سورة نوح.**

قبل أن نبدأ أنا أود أن نستمع أولًا إلى هذه السورة، لعل الله -عز وجل- أن يفتح علينا، هي ثمانية وعشرون آية، هي خمس دقائق فقط نسمعها.

علاقة مباشرة مع كتاب الله

استمعنا إلى سورة نوح، ولا بد أن يُدرب الإنسان نفسه، أن يجعل هناك علاقة مباشرة بينه وبين كتاب الله -سبحانه وتعالى-، أن يستمع وأن يُصغي إلى كتاب الله -عز وجل- بعيدًا عن الناس لفترات طويلة، أن يقرأ القرآن هو بنفسه، بعدما يستمع إلى التفسير، ويقرأ في التفاسير، لكن بعد ذلك لا بد من وجود العلاقة المباشرة بينك وبين كتاب الله -سبحانه وتعالى-؛ حتى لا تكون هذه الأشياء حواجزًا بينك وبين كتاب الله سبحانه وتعالى، إذًا لابد من الارتباط المباشر الذي يحدث -بأعلى درجات الارتباط- يحدث في قيام الليل، أو أن تستمع كما في آخر آيات سورة الأعراف: { فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا }، أن تستمتع إلى القرآن في خلوة بعيدًا عن الناس، أن تعطي لقلبك وقتًا طويلًا تستمع فيه إلى كتاب الله -سبحانه وتعالى-.

حسنًا، الوقفات السريعة التي أريد أن نقف معها في هذه السورة سورة نوح:

- **أولًا: موقع هذه السورة في المصحف**، نجد أن هذه السورة جاءت بعد سورة المعارج ثم بعد سورة نوح، جاءت سورة الجن، ثم المزمل، ثم المدثر.

نجد أن **سوره المعارج** وهي تحدثنا وتطلب من الإنسان أن يعرج إلى الله -عز وجل -، كما أن الملائكة تعرج إلى الله -عز وجل- فكذلك الإنسان يعرج إلى الله بروحه وبقلبه؛ فجاءت بأهم مانع يمنع الإنسان

من العروج، هذه **النفس الهلوعة**، هذه النفس الشحيحة، **هذه النفس التي لن تصلح إلا بالصلاة وبالإنفاق** { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) }، يتخلص الإنسان من هذه النفس التي تمنعه من العروج إلى الله -عز وجل-، عن طريق العبادات وأولها الصلاة، ثم دعوة الناس إلى العروج إلى الله، عن طريق الاستغفار.

جاءت هذه السورة -**سوره نوح**- بعد سورة المعارج؛ لتبين هذا المجهود الذي يطلب من الدعاة أن يبذلوه، وأن ما يبذله الدعاة من مجهود لدعوة الناس، مهما فعلوا ليس بكثير في وسط الجهود التي بُذلت، قال ربنا -سبحانه وتعالى- في أول ما أنزل، من أوائل ما أنزل على نبينا -صلى الله عليه وسلم-: { وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } **سيُطلب منك جهد كثير، لا تستكثر ما تقدمه لهذا الدين**، فجاءت هذه السورة تبين هذا الجهد المضني، الذي بذله نوح -عليه السلام-، وكيف تعب نوح -عليه السلام- في مدة زمنية طويلة، كيف نوَّع في وسائل الدعوة، كيف نوَّع في كلام الدعوة، كيف صبر وصابر، حتى حقَّت كلمة الله -عز وجل- على هؤلاء الناس، فدعا نوح -عليه السلام- عليهم.

ثم تأتي **سورة الجن**؛ لتبين أنه **مهما أعرض الناس عنك، فقد يبعث الله -عز وجل- إليك مخلوقات تستجيب لنصرة هذا الدين**، أي سورة نوح قمة الإعراض، السورة التي تليها مباشرةً، بما أن الإنس أعرضوا؛ أرسل الله -عز وجل- الجن ليستمعوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في بدء سورة الجن: { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ }، قمة الإعراض في سورة نوح { وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ }، ثم قمة الإنصات، ولكن من الجن { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) }.

بداية سورة الجن بمشهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ القرآن، دليل على تمسك النبي -صلى الله عليه وسلم- بمنهجه مهما أعرض الناس عنه، ففي سورة نوح قمة الإعراض عن دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فجاءت هذه السورة سورة نوح؛ لتصبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذًا سورة نوح قمة الإعراض بالرغم من الجهد المتواصل.

تأتي سورة الجن، في أول آية من سورة الجن، مشهد للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ القرآن، في دلالة لتمسك النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا المنهج مهما أعرض عنه المعرضون، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- قائم يصلي بالقرآن، بكتاب الله سبحانه وتعالى، فأرسل الله -عز وجل- له من يستجيب لهذه الدعوة.

ثم تأتي سورة الزاد التي تُعين الإنسان على جهد الدعوة، سورة المزمل { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) }، تأتي سورة الزاد لأن { إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا } تأتي سورة المزمل كنوع من أنواع الاستراحة والزاد، بين سور الدعوة، بين نوح والجن، ثم المدثر، ثم إكمال المسيرة { قُمْ فَأَنْذِرْ } { وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ }، تأتي هذه السورة في وسط هذه السور كنوع من هذا الزاد الذي لن تستطيع أن تكمل المسير بدونه. فالذي يحاول أن يكمل المسيرة في طريق الدعوة الشاق بدون المزمل بدون { قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلا } **سيجد نفسه في شقاء، في عنت، في تعب، والسبب أنه ترك الزاد الذي لن يستطيع أن يكمل المسير بدونه.**

أمرٌ.. وتنفيذ مباشر

تأتي هذه السورة، **سورة نوح** بجملة بدأت مؤكدة {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ}، "إن" تفسيرية، أرسل الله عز وجل نوحًا إلى قومه {أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} بدأت السورة ب**الهدف الرئيسي** من إرسال نوح عليه السلام وهو: مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ ... وكأن مشهد العذاب الأليم يقترب من قوم نوح والرسالة والدور المطلوب من نوح عليه السلام أن ينقذ قومه من هذا العذاب.

هو ليس عليهم بمصيطر، دوره أنه لهم نذير مبين، فقال له الله عز وجل أَدرك قومك {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ} وأنذرهم وأمرهم بالاستغفار حتى يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى قبل أن يأتيهم العذاب، مضت سنة الله عز وجل في نزول العذاب على المعرضين {قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. ليس هناك فارق أبدًا بين الأمر والاستجابة {قَالَ يَا قَوْمِ}

١. الآية الأولى الأمر،

٢. والآية الثانية التنفيذ مباشرة،

فلا بد أن **يسارع الإنسان بالتنفيذ**، أن يستشعر الداعية إلى الله عز وجل أن كل تأخير يتأخره قد يفلت الناس من يديه، قد يذهب الناس إلى العذاب الأليم بسبب تأخره عنهم. استحضار مشهد العذاب الأليم وهو يقترب من الناس وأن الداعية المتكاسل الذي يتكاسل ولا يريد أن يجتهد في الدعوة، هو يضيع الناس من يديه في العذاب كما قال النبي صل الله عليه وسلم: (مثلي ومثلُكم كمثلِ رجلٍ

أوقدَ نارًا ، فجعل الفراشُ ، والجنادِبُ يقعْنَ فيها ، وهو يذُبُّهُنَّ عنها ، وأنا آخُذُ بحُجْزِكُمْ عنِ النارِ ، وأنتم تفْلِتونَ مِنْ يَدَيْ)[1]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم الناس عن النار (وأنا آخُذُ بحُجْزِكُمْ) مشهد تمسك النبي صلى الله عليه وسلم بالناس حتى لا يقعوا في النار، فهنا ليس هناك أدنى زمن بين الأمر والاستجابة {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ}.

الآية التي تليها {قَالَ يَا قَوْمِ} التنفيذ مباشرة لم يتأخر خوفًا من الله عز وجل، لم يتأخر خوفًا على قومه، لذلك لما أمر الله عز وجل يحيى عليه السلام أن يبلغ قومه بخمس كلمات وتأخر يحيى عليه السلام، فأرسل الله عز وجل إلى عيسى أن يذهب إلى يحيى ويقول له: "هل تبلغ الكلمات أو أبلغها أنا"، لا مجال للتأخير فقال يحيى عليه السلام: "سأبلغها أنا، إني أخاف أن ينزل علي عذاب من الله"[2]. لو أنه لم يبلغ هذه الكلمات. **فالإنسان يخشى أن يتأخر في التنفيذ**، في توصيل كلمات الله عز وجل إلى الناس. {قَالَ يَا قَوْمِ}

محور دعوة نوح عليه السلام

مهم جدًا فهم هذا المحور حتى لا يتيه الدعاة إلى الله عز وجل في تفاصيل جانبية، حتى لا يتيه الدعاة إلى الله عز وجل في أمور فرعية {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}، فإذًا المحور الرئيسي {إِنِّي لَكُمْ} يؤكد {إِنِّي لَكُمْ} لمصلحتكم {نَذِيرٌ مُّبِينٌ}

نذارة= تحذير،

مبين= واضح،

أكلمهم بلغتهم، بلسان يفقهونه..

---

[1] الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٥٨٥٩ | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخريج : أخرجه مسلم (٢٢٨٥) باختلاف يسير

[2] "إنَّ اللهَ أوحَى إلى يحيَى بنِ زكريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بهنَّ ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ فكأنَّه أبطأ بهنَّ فأتاه عيسَى فقال إنَّ اللهَ أمرك بخمسِ كلماتٍ أن تعملَ بهنَّ وتأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ فإمَّا أن تُخبرَهم وإمَّا أن أخبرَهم فقال يا أخي لا تفعلْ فإنِّي أخافُ إن سبقتَني بهنَّ أن يُخسَفَ بي أو أعذَّبَ..."

الراوي : الحارث بن الحارث الأشعري | المحدث : المنذري | المصدر : الترغيب والترهيب | الصفحة أو الرقم: ٣٢٨/٢ | خلاصة حكم المحدث : [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]

{إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} المبين الواضح الذي ليس فيه لبس، دعوة واضحة، حقائق واضحة لا تحتمل اللبس

{إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أن اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ}، هكذا تقوم الدعوات على أصول،

النذارة عبادة لله عز وجل، تقوى لله عز وجل، طاعة النبي، قال لهم: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} قيل أن {أطيعون} أي أطيعوا نوحًا عليه السلام،

- لأنكم كيف ستنفذون مراد الله؟،
- لا بدّ من منهج عملي يسير على الأرض بينكم؛ هم الرسل، سنة الأنبياء،

وبالنسبة لنا سنة النبي صلى الله عليه وسلم. إذًا هناك محور للدعوة..

الوظيفة الأساسية للداعية هي أن ينذر الناس من عذاب الله، الوظيفة الأساسية للداعية هي تعبيد الناس لله {أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} هذه هي الوظيفة الأساسية.

أحيانًا تختلط الوظائف على الدعاة، يريد أن ينصح للناس في بعض أمور دنياهم، يريد أن يفيد الناس في بعض الأمور الجانبية، فهذه الأمور قد تؤدي إلى تحسين وظيفته لكن قد تأتي على الأصول، قد يتحول إلى مجرد أنه فصيح محسن دنيوي لظروف الناس، جاء لتحسين ظروفهم الدنيوية، فيبدأ الناس يطالبونه بتحسين أمورهم الدنيوية ويُعرضوا عن ذكر الدار الآخرة، وإذا حدثهم عن الدار الآخرة قالوا ما على هذا تبعناك، إنما جئنا خلفك حتى تصلح لنا أمورنا الدنيوية، نريد أن نتحسن دنيويًا، أنت دورك معنا أن تدلنا ماذا نعمل حتى نتحسن دنيويًا، وقد يمر الإنسان ببعض أنواع البلاء، ويجب أن يترك الحرام لله سبحانه تعالى، لا... نحن نريد كل شيء يحسن أمورنا الدنيوية فقط.

فأحيانًا الداعية هو الذي يبدأ بهذا التلبيس على الناس، لا يكون مبينًا في دعوته. فأصل الأصول في الدعوة إذا أراد الداعية أن يعرّف نفسه، يريد أن يبدأ بالتعريف عن نفسه، هو في أول تعريف: {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} أول ما وقف النبي صلى الله عليه وسلم حذر الناس قبيلة قبيلة، وجعل يذكر القبائل بأسمائها

ويحذرهم من النار.. أول ما وقف النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإِنِّي أنا النَّذِيرُ العُرْيانُ)[٣]، الذي يحذركم هجوم الجيش عليكم قبل أن يأتي العذاب، قبل أن ينزل عليكم العذاب.. **هكذا تكون الدعوة واضحة** لكن أن يختلط وتختلط الوظائف على الداعية، لأن أحيانًا الداعية يكون له وظيفة دنيوية هذا الأمر مهم جدًا جدًا. فارق بين حكم الشرع في دنيا الناس، لا بد أن يكون الشرع له حكم أن هذا حلال أو هذا حرام، هذا ربا، هذا التعامل المادي حلال، هذا التعامل المادي حرام، هذا الأمر فيه شبهة، هذا دور أيضًا الداعية...

إذًا مسألة الخلط وكيف نوازن بين (أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)[٤] وبين وظيفة الداعية...

- وظيفة الداعية إقامة الدين في الناس...
- أما وظيفة الخليفة "أمير المؤمنين" الذي يقوم بتنفيذ أمر الله عز وجل؛ إقامة الدين والدنيا، يَقوم يُقَوِّم دنيا الناس على أساس دينهم.

لذلك عندما يقال الخلافة الراشدة؛ نقول الخلافة الراشدة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.. هذه الخلافة الراشدة اجتمع في الخليفة أنه هو الإمام وأنه مصدر العلم، اجتمع فيه السلطان والعلم. فعندما يجتمع السلطان والعلم هذا يكون أمير المؤمنين؛ لأنه يُصلح دنيا الناس عن طريق الدين. لذلك من أجمل الكلمات في معنى تطبيق الشريعة،

كان واحد على ما أظن اسمه إبراهيم العسعس على الإنترنت يقول "**أن تشتبك بالنص مع الحياة**"

أن تنزل تشتبك مع الحياة لكن باصطحاب النص، لا تترك النصوص الشرعية؛ أنت مطالب بتطبيق الدين في الواقع.

---

[٣] إنَّ مَثَلِي ومَثَلَ ما بَعَثَنِيَ اللَّهُ به كَمَثَلِ رَجُلٍ أتَى قَوْمَهُ، فقالَ: يا قَوْمِ إنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بعَيْنَيَّ، وإنِّي أنا النَّذِيرُ العُرْيانُ، فالنَّجاءَ، فأطاعَهُ طائِفَةٌ مِن قَوْمِهِ، فأدْلَجُوا فانْطَلَقُوا علَى مُهْلَتِهِمْ، وكَذَّبَتْ طائِفَةٌ منهمْ فأصْبَحُوا مَكانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فأهْلَكَهُمْ واجْتاحَهُمْ، فَذلكَ مَثَلُ مَن أطاعَنِي واتَّبَعَ ما جِئْتُ به، ومَثَلُ مَن عَصانِي وكَذَّبَ ما جِئْتُ به مِنَ الحَقِّ.

الراوي : أبو موسى الأشعري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٢٨٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

[٤] أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مَرَّ بقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقالَ: لو لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ قالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بهِمْ فَقالَ: ما لِنَخْلِكُمْ؟ قالوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بأَمْرِ دُنْيَاكُمْ.

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٣٦٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

لكن ليست وظيفة الداعية أن يجعل فلانًا ينجح، وفلانًا يجني أموال أكثر، وإنما يعلمه الحلال والحرام، إذا امتلك السلطان مع العلم أصبح الخليفة، فهو يطبق ليس فقط يبلغ بل يطبق، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، طبق هذا بسلطان الخلافة. فإذًا الداعية بدون سلطان فهنا يبلغ، يبلغك أن هذا حلال وهذا حرام. لذلك أحيانًا عندما تختلط بعض الوظائف مع الداعية، أن يكون داعية وسياسيًا مثلًا، يكون داعية واقتصاديًا، يكون داعية ويتكلم في التنمية البشرية والإدارة، **فأحيانًا تختلط الوظائف**.. فعندما تقدم للناس شيئًا فيجب أن توضح... هذا وحي، وهذا اجتهاد دنيوي... فأحيانًا تختلط هذه الأمور على الناس، **فالرجوع إلى الأصول مهم**.

إذًا أول ما جئتكم به الإنذار من عذاب الله سبحانه وتعالى.

يجب أن تكون الأصول واضحة لذلك قال الله عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ } لكي يكون المصدر صافٍ، وكان أميًا صلى الله عليه وسلم، وشرف له أن الناس يتعلمون من بعضهم البعض، ولكن الله عز وجل هو الذي علمه صلى الله عليه وسلم؛ شرف له ذلك.

فإذًا تحديد وظيفة الداعية مهم جدًا جدًا جدًا في زمان اختلطت فيه الوظائف على الناس، فأصبح الشخص يتصدر للناس كداعية وهو لا يتكلم في الدين معهم، ثم الناس يزدادون بعدًا عن دين الله عز وجل بالرغم من أنه –هذا الداعية– يزداد انتشارًا بينهم، وبالتالي يوجد شيء خطأ يقوم به.

فتجد هنا –في سورة نوح– التحذير من المعاصي، التحذير من الذنوب، ويقول ربنا سبحانه وتعالى: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا} بسبب الخطايا {أغرقوا فأدخلوا نارًا} بسبب الخطايا أغرقتهم،

وقد حذرهم نوح عليه السلام من الذنوب. هذه وظيفة الداعية الأساسية التي لا بد ألا تختلط بغيرها حتى لو قدم شيئًا آخر، هذا ركن واضح، محورية الدار الآخرة في الدعوة، لأن هذا أمر محوري في الدعوة. لكن أن تأتي ألفاظ ومصطلحات جديدة قد تحتمل نوعًا من التدليس أو التلبيس على الناس فلا تظهر الأمور...

مثلًا مصطلح إعمار الأرض، أن الداعية دوره أن يعمر الأرض! ماذا يعني هذا؟ وما هو تعريفه؟ الإشكالية دائمًا

إشكالية المصطلحات

كثير من العلماء تكلم في مسألة أن المصطلحات أمر خطير ليس سهلًا، بدليل قوله سبحانه وتعالى: { لَا تَقُولُوا رَاعِنَا } بالرغم من أنه مصطلح معتاد، لا؛ هذا المصطلح لا تقولوه، هذا المصطلح يحمل نوعًا من أنواع التدليس، لذلك عندما يقابلنا مصطلح معين غير مفهوم، نحتاج أن نُفصِّل هذا المصطلح، ما المقصود بهذا المصطلح؟ ثم نرى.. إذا وجدنا المفاسد أكثر من المصالح لا نستعمله، كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يطلب منا ألا تغلبنا الأعراب على اسم صلاة العشاء، هم يسمونه "العتمة" فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا يغلِبنَّكم الأعرابُ على اسمِ صلاتِكم فإنها العشاءُ)[٥] هم يسمونها العتمة.. ليست مشكلة! لا... لا تغلبنكم، كأن هناك **مغالبة في المصطلحات**، فعندما تكون وظيفة الداعية واضحة بيّنة، أصِّل الأصول أولًا ثم تكلم في الفروع، أصل الأصول.. جئت لأنذركم عذاب الله -عز وجل-، جئت لأبين لكم مراد الله -عزو جل-، هذه الوظيفة الأولى الأساسية، من الممكن أن يكون للشخص أكثر من وظيفة لكن أثناء الدعوة أنت وظيفتك كذا، أنت وظيفتك الدنيوية تأكل الطعام وتمشي في الأسواق تطبق هذا الدين، لكن في وظيفة التبليغ لا بد أن يكون الأمر واضحًا { إِنِّي لَكُمْ } بكل وضوح، ما الجديد الذي جَدَّ عَلَيّ؟ {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}.

نَذِيرٌ مُّبِينٌ

عندما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة كان اسمه الصادق الأمين، لم يقل لهم أنا الصادق الأمين.. لم يبدأ معهم ببدايات ليس فيها وضوح، لم يؤجل الوضوح، كان من الممكن أن يقول لهم أنا الصادق الأمين، وهناك موضوع مهم نريد أن نتحدث فيه لكن سنتحدث فيه بعد ثلاث أو أربع سنوات.. دعونا في هذه الفترة نتكلم عن أخلاق عامة بعيدًا عن قضية التوحيد وعن قضية الإله والدار الآخرة، لا؛ بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- في أصول لا تؤجل في الدعوة، هناك أصول لا تؤجل في الدعوة، نعم هناك أحيانًا بعض الأولويات كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قال لمعاذ

---

[٥] لا يغلِبنَّكم الأعرابُ على اسمِ صلاتِكم فإنها العشاءُ إنما يدعونَها العتمةَ لإعتامِهم بالإبلِ لحلابِها=
=الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : أحمد شاكر | المصدر : مسند أحمد | الصفحة أو الرقم: ٦/٣١٤ | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

(إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ فليكن أوَّلُ ما تدعوهم إليه)[٦] -أول شيء تبدأ به- بالتوحيد لأن التوحيد يستقر فتعرف أن تبني بناء الإيمان، (فأول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أجابوك تدعوهم إلى الصلاة فإن هم أجابوك تدعوهم إلى الزكاة)،

فإذًا الدار الآخرة قضية محورية في الدعوة، الخلافة الراشدة؛ كان اسمها الخلافة الراشدة لأنهم كانوا ينصرون الدين، ليس لأنهم كانوا أكثر ازدهارًا في الدنيا، أي الخلافة الراشدة لم تسمى راشدة لأنها كانت أكثر ازدهارًا في الدنيا، الدولة الأموية كانت أكثر ازدهارًا في الدنيا وهي مُلك عَضوض وليست خلافة راشدة، كثير من الذين يتمنون ويريدون الخلافة الراشدة يظن أنها الأكثر ازدهارًا، نعم.. تطبيق شرع الله -عز وجل- عندما الأمة تجتمع على ذلك مع مرور الزمان وتحقيق العدل يأتي بالخير، كما يحدث في آخر الزمان يأتي بالخير، لكن لا بد من مرحلة بذل وتضحية كما حدث في شِعب أبي طالب مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فنعود إلى هذه الكلمة الواضحة البينة... تعريف واضح من أنا!

{ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ } كيف ذلك؟ عن طريق طاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-،

{ وَأَطِيعُونِ } لماذا؟ لتفروا من خطر الذنوب

{ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ } قدر الله -عز وجل- عنده في اللوح المحفوظ، إن أنتم آمنتم وهو يعلم بما سيحدث -سبحانه وتعالى-،

فإذا آمنتم منع عنكم العذاب،

وإذا أعرضتم نزل عليكم العذاب، والذي سيحدث قَدَّرَه الله -عز وجل- بأجل واحد فقط، قدر الله -عز وجل- ذلك في اللوح المحفوظ بعلمه سبحانه وتعالى، { أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ } لا ينبغي

[٦] إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ فليكن أوَّلُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ ، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فأعلِمْهم أنَّ اللهَ افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في اليومِ واللَّيلةِ ، فإنْ هم أطاعوا لك فأعلِمْهُم أنَّ اللهَ افترضَ عليهِم صدقةً تُؤخذُ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائِهم

الراوي : - | المحدث : ابن تيمية | المصدر : جامع الرسائل | الصفحة أو الرقم: ١٥/١ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

أن تؤمن عندما يبدأ العذاب.. {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ}[يونس:٩٠]، هذا لن ينفعك بشيء، { إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

إذًا البداية الأولى هي (الأمر)، بدأت السورة بالأمر { أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ }،

الآية الثانية التطبيق الفوري،

الآية الثالثة توضيح للوظيفة.. التوصيف الوظيفي للداعية { إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }،

الغاية أولاً قبل الوسائل

ثم جاءت الآية الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة، جاءت في هذه الآيات الوسائل التي استعملها نوح –عليه السلام– لدعوة القوم، نحن نريد أن يكون للسورة تصور في أذهاننا، إذًا بدأت الآية بالأمر ثم التنفيذ المباشر ثم التوصيف قبل الوسائل، ثم الوظيفة الأساسية، لأن أحيانًا الناس تنشغل بالوسائل عن الأهداف، أحيانًا تنشغل كيف تصل إلى الناس، ثم بعد أن وصلنا إلى الناس ماذا كنا نريد أن نقول لكم؟ نحن نريد أن ننشئ صفحة على الفيس بوك كبيرة جدًا ونريد أن ننشئ قناة فضائية كبيرة جدًا تصل لكل الناس، ونريد أن نشترك في أي تطبيق يصدر، فعلنا هذا وانتشرنا.. ماذا كنا نريد أن نقول للناس؟ وبعد أن انتشرنا لن نواجه الناس بالدين، إذًا ماذا نقدم لهم أولًا؟ برامج ترفيهية مثلًا، البرامج الترفيهية تنجح فتأتي بأعداد فنكمل وننسى لماذا بدأنا، هذا ما يحدث! نحن اكتشفنا أننا لو تحدثنا معهم في الدين سينصرفوا، فالأفضل أن نبتعد ونستمر في الابتعاد عن الغاية...

فأحيانًا الانشغال بالوسائل عن الغايات يُحدث انحرافًا في الطريق، أنا أعلم أنه شيء طبيعي أن الداعية يريد أن يكلم الناس عن الدار الآخرة وعن الدين، لكن هذا المعنى البسيط قد ينساه الإنسان مع ضغط الحياة وضغط المجتمع عليه.

أمنية الأنبياء مدخل الشيطان

قال ربنا سبحانه وتعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}

- القول الأشهر { إِذَا تَمَنَّىٰ } أي إذا تلا، الشيطان أثناء القراءة يُلبس ،
- وقيل { إِذَا تَمَنَّىٰ } أي أن النبي وكل نبي يتمنى أن يصل إلى قومه...

ما هي أمنية الدعاة، أمنية الأنبياء، أمنية الأنبياء ليست أن يحصدوا مالًا ولا أن يبنوا قصورًا ولا أن يجمعوا أموالًا، أمنية الدعاة، وأمنية الأنبياء من قبل أن يصلوا إلى الناس، هذه الأمنية يستغلها الشيطان، أي أن الشيطان عندما يأتي لأحد يدخل له من أمنيته، أي أن الشيطان عندما يريد لداعية متمسك بالدين أن يتنازل لا يقول له تنازل ونحن نعطيك المال... هذه لا تجدي معه، وقريش حاولوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم– تنازل ونعطيك ملكًا... تنازل ونزوجك.. لا؛ هذا لا يجدي معه، فدخلوا من مدخل آخر أنت تريد أن نؤمن.. سادات قريش تريد منا أن نؤمن؟ فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال طبعًا؛ إذًا اطرد هؤلاء الضعفاء، فدخلوا من مدخل أننا سنؤمن.. من أمنية الداعية، هذه الأمنيات بالنسبة للرسل يضبطها الله –عز وجل– ينسخ الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته.

تحتاج إلى أن يجأر الإنسان إلى ربه وأن يلجأ إلى ربه وأن يستشير إخوانه وأن يستخير ربه، الداعية يحتاج علمًا ويحتاج دعائم للثبات حتى لا يُفتن، فالشيطان يستغل هذه الأمنيات، أي أن الشيطان يدخل للداعية ليس من الدنيا، لكن من أمنياته، أنت تريد أن يسمع كثير من الناس؛ فلا تتكلم في كذا وكذا {ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ} وكثير من الناس سيأتون، وبعدما يأتون حدثهم حينئذ عن القرآن! فيحدث أن كثيرًا من الناس تأتي... فيبدأ يقول له أبعدما أتوا ستقول لهم كلامًا لا يعجبهم فيذهبون؟!! دعنا لا نضايقهم الآن ونستمر سنة نحدثهم عن أشياء عامة قبل أن نواجههم بحقيقة العبودية لله – سبحانه وتعالى–، فالناس يكثرون... فالخوف يزيد، يدخل الإنسان في هذه الدائرة المغلقة.. لكن من البداية لابد أن يكون الإنسان واضحًا، ليس معنى الوضوح أن يجابه الناس بما لا يستطيعونه من بعض الطاعات، لكن نحن نتكلم في الأصول... التوحيد... في النذارة... في العبودية... في الأصول؛ ليس في طاعة لا يستطيعونها الآن،

هذا فقه الأولويات...

لذلك لما ابن حجر علق على قول الرسول صلى الله عليه وسلم { إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ }[٧] قال هنا: أنه أرسله إلى أناس عندهم علم فأرسل شخص عنده علم، لأن سيدنا معاذ يأتي يسبق العلماء رمية بحجر يوم القيامة، ففكرة أن **كل شخص يعرف الناس الذين سيكلمهم والمداخل والأولويات هذا مهم جدًا في الدعوة**، وألا يعجل الناس بأمر، كما تأخر تحريم الخمر... هذا أمر مطلوب حتى

[٧] سبق تخريجه

يحدث أيضًا موازنة، لكن يكون هناك أصل هو يسير فيه. ولكن أحيانًا ينسى الإنسان .. لماذا أَجَّل؟ لماذا لم يواجه؟ **ينسى وتصبح الوسائل غايات**، تحصيل عدد أكبر من الناس يصبح غاية في حد ذاته تُلغى لأجلها الأصول، **إذًا الوظيفة الواضحة قبل الوسيلة**،

وسائل الدعوة

فجاءت الوسائل التي استعملها نوح عليه السلام { قَالَ رَبِّ } تخيل عندما يقدم الداعية اعتذارًا! يا رب أنا ما فعلته كذا وكذا وكذا...

فماذا بالنسبة لمن يعمل للدعوة؟!

سيدنا نوح الذي قضى تسعمئة وخمسين سنة في الدعوة يقول: { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا } ويقدم اعتذارًا عما حدث بعد تسعمائة وخمسين سنة! تخيل.

تخيل... عندما يسأل الله سيدنا عيسى { أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ }! تخيل عندما تُسأل هذا السؤال { { أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ } هل أمرتك أن تبلغ هذا للناس أم أنت قلته من عندك؟

لذلك قال { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ } لم أقل شيئًا من عندي بل كان وحيًا أبلغه... هذا أكثر سلامة للإنسان.

فهنا قال نوح عليه السلام { رَبِّ إِنِّي } ويؤكد على ذلك لتأثره، لأن الجملة في الأصل في اللغة تأتي غير مؤكدة فلما جاء التوكيد ب{ إِنِّي } والله عز وجل يعلم ذلك فجاء التأكيد لاستشعاره بما فعل والجهد الذي بذله..

{ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي } كان يخاف عليهم لذلك قال يخبرهم من البداية { يَا قَوْمِ } أي أنا منكم وأخاف عليكم، { يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }

فقال { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا } **استيعاب الأزمنة**.. لم يترك زمانًا إلا ودعا فيه،

{ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ } يعني هو ذهب ليقول لهم: إن الله سيغفر لكم... لا يريد منهم شيئًا.. وأن الهدف الوحيد الذي كان يصر أن يكون ظاهرًا ليس تحصيل أي مصلحة دنيوية أبدًا!

{ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}

إذًا أول شيء استيعاب الأزمنة،

لم يترك زمانًا،

موسمًا من المواسم،

في الإجازة،

في الدراسة،

في مواسم الطاعات،

بالليل،

بالنهار،

في الصباح،

في المساء...

هكذا الداعية يتحين الفرص، يتحين الأزمنة، يبحث عن الوقت المناسب، عن إقبال الناس، عن لحظات نشاطهم، عن لحظات تجمعاتهم.. هكذا الداعية يبحث عن كل لحظة يستطيع فيها أن يدعو إلى الله عز وجل.. انظر استيعاب الأزمنة ليلًا ونهارًا،

{ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا }

إذًا هذا المشهد يتكرر.. سيدنا نوح يرى أناسًا، يذهب ليتكلم معهم، يضعوا الأصابع في الآذان ويستغشوا الثياب ويصروا ويستكبروا،

فيذهب مرة أخرى إليهم، فيفعلون نفس الفعل وفي كل مرة يذهب، ولا يقول سيفعلون نفس الفعل مرة أخرى فلا يذهب، لا!

أن تكلم مثلًا مجموعة من الشباب مرة، اثنين وثلاثة فتقول هؤلاء ليس منهم فائدة لقد كلمتهم أكثر من مرة! كم مرة كلمتهم؟ مرتين..

سيدنا نوح ظل ٩٥٠ سنة قبل أن يدعو عليهم، ٩٥٠ سنة!

لذلك عند بعض الناس إشكالية أن سيدنا نوح دعا على قومه، إذًا هل يجوز أن ندعو على قومنا؟

تريد أن تدعو على قومك بهذا الدعاء؟ أنا أوافقك ولكن بعد ٩٥٠ سنة دعوة، إذا كنت تريد أن تأخذ بظاهر الآية لأن كثيرًا من العلماء قال أخبره الله عز وجل أنهم لن يؤمنوا: { وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ } لن يؤمن (لَنْ) القاطعة، في سورة هود...

فهنا { وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ } ذاهب من أجل مصلحته هو فقط { لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا }..

لم يقل الأنامل، قال الأصابع { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ } مع أن الإنسان عندما يسد أذنه يضع الأنامل في الأذن وليس الأصابع، **هذا دليل على شدة الإعراض!**

يعني هو لا يريد أن يسمع شيئًا على الإطلاق

{جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ} مشهد مضحك، لو كان لا يخاف من التأثر فلم يضع الأصابع في الآذان؟

لأنه يخشى على نفسه أن يتأثر، يخشى على نفسه من فتنة –لا أريد أن أقول فتنة الدين– فتنة الدنيا يخاف أن يُفتن، مثل قوله تعالى { أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ }

مثل ما أنت تصبر على دينك هو يصبر على آلهته!

{ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ } حتى يخشى من ملامح وجه نبي الله نوح، هذه الملامح التي تدل على الصدق، فهو بعدما وضع الأصابع في الآذان فلا يسمع شيئًا، يقوم بوضع الثوب على وجهه { وَاسْتَغْشَوْا

ثِيَابَهُمْ} لماذا فعل ذلك؟ حتى لا تؤثر حتى الملامح، يعني هو لا يسمع لكن صدق ملامح وجه نوح عليه السلام قد تؤثر فيه،

لذلك عبد الله بن سلام لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أول ما جاء إلى المدينة فقَبْل أن يستمع اليه، قال: ما هذا بوجه كذاب، أول لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما هذا بوجه كذاب، فأول ما استمع إليه، وجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، وبصلاة الليل والناس نيام، علم أن هذا لا يقوله إلا نبي.. فآمن.. حَبْر من أحبار اليهود "عبد الله بن سلام"، أول ما رأى وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ما هذا بوجه كذاب..

أحيانًا صدق ملامح الداعية يؤثر في الناس... هم لا يريدون حتى أن يروا هذا الوجه الصادق، لا يريدون أن يروا الشمس، { وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ } ، { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا } بمعنى أن الأمر ليس عدم اقتناعه، **القضية استكبار**، { وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا } مفعول مطلق تدل على أنه لم يكن هناك أي سبب آخر للإعراض، كل القضية استكبار، وإصرار، وعِناد { وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا }.

إذًا الدعوة المبدئية في كل الأزمنة لم تؤثر فيهم، هل اكتفى نوح عليه السلام؟

غيَّر في الطريقة، بما أنهم وضعوا الأصابع في الآذان، واستغشوا الثياب، قام سيدنا نوح برفع صوته أكثر، كلما ابتعدوا هم أكثر اقترب منهم سيدنا نوح، وبحث عن وسيلة تقربه منهم أكثر. فعندما جاءت آية وضع الأصابع في الآذان،

جاءت بعدها آية **الدعوة الجهار** { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا } بصوت عالٍ، حتى يصل إلى الآذان، حتى لو غطوا الوجوه، ووضعوا الأصابع في الاذان، سأبحث عن وسيلة أخرى للوصول إليهم،

إذًا أحيانًا الناس يبتعدون، أنا أبحث.. الناس لم تعد تأتِ إلى المساجد؟ ننظر أين مكانهم؟

في الشارع ننزل إلى الشارع، الناس أين يجتمعون؟ في القهوة، ننزل إلى القهوة نكلم الناس،

نبحث عن الناس؟ ليس معنى أن الناس ابتعدت، أن أقول هم من ذهبوا وابتعدوا، لا لم يفعل هذا... سيدنا نوح بحث عنهم، **استغراق الأزمنة، استغراق كل الوسائل الممكنة**

{ دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا } جهارًا أي **دعوة جماعية**، هذه الدعوة الجماعية -انتبه- قد تؤثر في بعض الأفراد، لكن هذا الفرد في وسط المجتمع لا يستطيع أن يأخذ القرار، يحتاج **جلسات فردية**. الآية التي تليها { ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا }.

قال ابن عطية في البداية الدعوة الجماعية، ثم دعا كل فرد على حِدى... يعني كلم الناس كلهم، ثم كلَّم كل واحد بمفرده، لاحِظ المجهود!!!

هناك أناس وسط المجموع تتأثر لكن داخله أسئلة، داخله شبهات، داخله خوف. ماذا سيحدث لو آمنت؟ ماذا سأفعل؟ ماذا عن الناس، ماذا عن قوْمي؟ يريد أن يسأل أسئلة، **هذه الدعوة الفردية**.

تخيل سيدنا نوح قام بكل **الوسائل الممكنة**..

- استغراق الأزمنة
- الأماكن
- الوسائل
- الدعوة الجماعية
- الدعوة الفردية
- دعوة بصوت عالٍ
- دعوة فيها إسرار

استعمل كل الوسائل..

إذًا وسائل الدعوة ليست توقيفية، ليست وسيلة واحدة.. ليست إلقاء الدروس فقط..

نحن نتصور أن الدعوة أن أُلقيَ درسًا فقط، فإذا كنتُ لا أستطيع أن ألقي دروسًا فلن أعمل في الدعوة! من قال هذا؟ بالعكس؛ أحيانًا في وقت من الأوقات تكون هذه أضيق صور الدعوة.. **أحيانًا في أزمنة التضييق تكون هذه أضيق صور الدعوة.. ويكون الاعتماد بنسبة كبيرة على الدعوة الفردية**، على { يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ } على الرجل الذي يطبق الدين، ويمشي بين الناس بالدين.. {أَوَمَن

كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ } .. أي بهذا النور، مُصاحبًا لهذا النور،{يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} { فِي } تفيد التعمق.. أنه يمشي بهذا النور بين الناس فيراه الناس، فيبدأون بالسؤال عن الإيمان، وعن التقوى فيجيبهم بأعماله قبل أن يجيبهم بأقواله.

إذًا نجد أن نوحًا عليه السلام بدأ البداية الفورية للتنفيذ، هذا لمن يريد أن يُقَيِّم نفسه، هو يقول أنا داعية، ثم يريد أن **يُقيم نفسه على مواصفات الداعية** فليقرأ هذه السورة.. من يريد أن يُقَيم نفسه يعود إلى هذه السورة،

- **التطبيق المباشر**، لا كسل، لا توانٍ، لا تراخٍ،
- **الوظيفة الواضحة**، الصارمة { إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ } **تحذير من الذنوب**،
- **ثم استعمال كل الوسائل الممكنة**

استغراق كل الأزمنة، كلما ازدادوا بعدًا ازداد نوح عليه السلام جهدًا. { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا } إذًا هذه الوسائل التي استعملها نوح عليه السلام،

الآن ما هو كلام الدعوة؟

إذًا كان ترتيب الحديث في الآيات عن التطبيق المباشر، توصيف للوظيفة، وسائل الدعوة، ثم بعد ذلك الكلام الدعوي.. شيء غريب جدًا –قد يكون أحد عنده فتح في هذا المعنى، أنا ظللت أفكر–

كان متوقعًا أن كلام الدعوة يأتي قبل وسائل الدعوة؛ يعني الكلام الذي ستقوله في الدعوة يكون قبل الوسيلة أو طريقة توصيل الكلام للناس. لكن –والله أعلى وأعلم–

قد يكون هناك إشارة أن الصادق الذي يبذل هذا المجهود، يفتح الله –عز وجل– على يديه..

الصادق الذي يتحرى، ويحمل هم الناس، ويبحث كيف يصل إلى الناس، ويستغرق كل هذه الأزمنة والأمكنة والوسائل والطرق، بعد أن حدد الوظيفة ابتداءً، وأنه جاء نذيرًا مبينًا للناس، هذا يفتح الله –عز وجل– على يديه، ويُلقي الله –عز وجل– على لسانه هذا الكلام الصادق، طبعًا مع تحصيله للعلم الذي جاء به رسوله، لأنه من البداية { وَأَطِيعُونِ }..

أنت مطالب بطاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة، لكن أقصد كيف تصيغ هذا الكلام للناس.. أحيانًا قد يتكلف الإنسان في هذا الأمر، يقول لك دعني أذهب لأكلم الناس مباشرة، أنا محتاج أن يكون الكلام منمقًا، مرتبًا، أحيانًا الأمر يحتاج إلى صدق، أحيانًا كلمات بسيطة تأتي بالناس، أحيانًا مطوية توزعها فقط.. فإذًا **القضية أن تعمل، أن تتحرك**.

ابحث عن وسيلة تبلغ بها دين الله –عز وجل–، لذلك جاء الأمر بقمة البساطة: (بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً)[٨] كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–. آية واحدة أيعجز أحدكم أن يبلغ آية! حتى يكون الأمر فيه نوع من البساطة

ماذا عملت للدين؟

{ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ } ماذا قال نوح –عليه السلام– لهم بعد أن عرض ما فعله؟ هنا سيدنا نوح يكلم ربنا: يا رب أنا فعلت كذا وكذا وقلت كذا وكذا وكذا،

الإنسان يستحي عندما يسأله ربه ماذا عملت للدين؟ يا رب أنا فعلت أشياء كثيرة، نعم ماذا فعلت؟ انا أعطيت درسًا، فقط! هل الدين أن تعطي درسًا! انظر سيدنا نوح ماذا فعل لما أمره الله –عز وجل– أن يبلغ ثم انظر، أمر أن أنذر قومك فقط بدون تفاصيل! التطبيق كان فيه تفصيل،

هكذا المحب، **المحب لا ينتظر التفاصيل في الأوامر**، المحب الذى يبحث عن كيف يصل بالدين إلى الناس، لا ينتظر أمرًا تفصيليًّا في كل شيء، يحتج بقوله: أنا لم يقل لي أحد ماذا أعمل لم يعرفني أحد، عندما يأتي أحد يشرح لي التفاصيل ماذا أعمل عندها سأتحرك!

هنا الأمر جاء مجملًا، والجواب جواب تفصيلي، أي الأمر كان أن { أَنذِرْ قَوْمَكَ } فقط، فجاء الجواب مفصلًا.. قال: ربي... جواب تفصيلي في المجهود، وفي الزمان، وفي الطريقة، وفي الكلام، لماذا؟ **لأن الإنسان الصادق يبحث، ويفكر، كيف أبلغ دين الله –عز وجل–**، يظل يفكر ماذا أعمل لأبلغ دين ربي؟

---

[٨] بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً، وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.
الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٣٤٦١ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] |

طغيان الأسباب

{ فَقُلْتُ } بدأ أيضًا بداية واضحة { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا }، قبل أن يكلمهم عن المردود الدنيوي للطاعة، أمرهم بالاستغفار، فربط الدنيا بالدين ، وأن الدنيا التي تأتي من غير دين، ما هي إلا فتنة وبلاء واستدراج، {قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) }، أيضًا حتى يحدث توازن؛ الكلام عن عطاء الله –عز وجل– الدنيوي للطائعين ليس خطأ، هذا ليس معناه أن الداعية هذا مفتون عندما يقول لهم أن الاستغفار والطاعة سوف تأتي بالرزق، هذا ليس خطأ، بل هذا قاله نوح –عليه السلام–،

إذًا أين الخطأ؟

الخطأ ألا تذكر كلمة الاستغفار والطاعة والتقوى، تقول نحن مطالبين بالجهد الدنيوي فقط.

الناس جاءتكَ إلى المسجد، أو الناس جاءتك لأنك الذي ستكلمهم عن الدين فتقول لهم لا، أنت لست مطالبًا أن تعمل في الدين، ولا أن تجتهد لتبلغ دين الله، أنت مطالب، كل شخص مطالب أن يعمل في وظيفته الدنيوية فقط... كلكم مطالبون أن كل شخص يكون الأول في مجاله الدنيوي فقط!

هذا يجب أن نجعله رقم اثنين، نشرح لهم الأول –هو يعمل في مجال الدنيوي– نشرح له الرؤية الكونية – إن شاء الله في درس بإذن الله عز وجل ربنا ييسر ونسجله عن القرآن والتغيير– كيف غيَّر القرآن قبل أن يتكلم في التفاصيل، غير الرؤية الكونية أولًا، غير المجملات قبل أن يتكلم في التفاصيل الشرعية،

فأنا قبل أن أكلمه في التفاصيل أنا محتاج أن أفهمه هو لماذا يفعل ذلك؟

لماذا جاء هنا أصلًا؟

بعض الناس ممكن يعمل أعمالًا خيرية وهو لا يعلم لماذا يعملها! لا يعلم، هو يعملها فقط، هي تحقق له نوعًا من أنواع السعادة الداخلية، لكن هو لا يعلم أن هذه ضمن منظومة شرعية، يبحث فيها عن مراد الله، هو نسي، ولكن يذهب يعمل خيرًا، فيعمل خيرًا وانتهى الأمر..

تعال نوزع شيئًا... يوزع، وهو سعيد أنه اليد العليا، فيها نوع من السعادة، فهو سعيد، لكن هو لا يفهم لماذا يعمل هذا أصلًا، وهذه خطورة البداية بالفروع قبل الأصول،

لذلك ابن عباس يقول: "الرباني الذي يُعلِّم الناس صغار العلم قبل كباره"..

صغار: الأمور الواضحات، الأصول قبل أن يدخل في التفاصيل والتفريعات

{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}، هنا ربط عطاء الله –عز وجل– بالاستغفار.

هذه الآيات بعض الناس عندهم حالة من *الهزيمة النفسية* منها،

وعندما يأتي يشرحها يقول لك: لكن هذا ليس معناه أننا لن نأخذ بالأسباب، أي لابد دائمًا قضية الأخذ بالأسباب أصبح فيها حالة من الطغيان!

الناس خائفة أن تقول إن الاستغفار قد يكون سببًا من الأسباب التي يفرج الله بها الكروب، هو سبب في حد ذاته.. فكما أن هذا سبب، هناك سبب آخر اسمه **الأسباب المعنوية**: الاستغفار، صلة الرحم، هذه أسباب جعلها الله –عز وجل– أسبابًا.. كالدعاء أيضًا..

ولا يوجد في الآية ما يدل على ألا نأخذ بالأسباب، فتجد الناس هنا عند هذه الآية يقول لك لكن هذا ليس معناه أن الاستغفار ليس كافيًا، لماذا نتسبب في التعارض ونفكه؟ لماذا نزرع المشكلة ثم نحلها؟ هنا الآية لم تتكلم في ذلك!

الآية تتكلم أن هناك عطاءات يُحرم الناس منها، لا يملكها إلا الله، هذا الحرمان يُفك بالاستغفار، **فالذنوب حواجز وعوائق تمنع نزول الرحمات، إذا أردتم هذه الرحمات، أزيحوا هذه الذنوب،** وأزيلوا هذه العوائق عن طريق الاستغفار، دعاء الاستفتاح في الصلاة أي: طلب الفتح (اللَّهمَّ باعِدْ بيني وبين خطاياي)[٩] هذه الذنوب تمنع الفتح، تمنع الرحمات، تمنع الخيرات، فإذا استغفرتم أزلتم هذه الذنوب،

[٩] كان رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ إذا استفتحَ الصَّلاةَ سكَت هُنَيْهَةً ، فقلتُ : بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ اللهِ ! ما تقولُ في سكوتِك بين التَّكبيرِ والقراءةِ ؟ قال : أقولُ : اللَّهمَّ باعِدْ بيني وبين خطاياي ، كما باعدتَ بين المشرقِ والمغربِ . اللَّهمَّ نقِّني من خطاياي ، كما يُنقَّى الثَّوبُ الأبيَضُ من الدَّنسِ . اللَّهمَّ اغسِلْني من خطاياي بالثَّلجِ ، والماءِ ، والبَرَدِ

الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم: ٦٠ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

إذًا الذنوب عائق وحاجز من نزول الرحمات، تمنع الرزق، لا بد أن يكون هذا أمرًا واضحًا، نعم الذنوب تؤدي إلى ضيق في الأرزاق، ومشقة وعنت وضيق في الصدور.

قد يقول قائل: لكن هناك أناس مذنبون وكفار وعندهم الدنيا؟

كما قلنا أن هؤلاء لهم سُنن مختلفة، هذا "**استدراج**"، الله -عز وجل- إذا أراد أن يبتلي قومًا ويفتنهم، بعد أن عُرض عليهم الدين وأصروا واستكبروا استكبارًا، ينتهي امرهم... أتريدون الدنيا؟ خذوا الدنيا حتى يأخذهم الله -عز وجل- بغتة.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد -صلى الله عليه وسلم-.

فقال له نوح عليه السلام: {قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) }،

عطاءات الله -عز وجل- لا حد لها، لذلك جاءت هذه الألفاظ: { مِّدْرَارًا }، { وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) }،

لماذا لا تعظمون الله كما تعظمون الأسباب؟!

لماذا إذا أردتم هذه الأشياء فزعتم إلى دنياكم ولم تفزعوا إلى الله -عز وجل-؟!

ألا تثقون بقدرته ونصرته -سبحانه وتعالى-؟! مالكم؟!

لماذا لا تخافون من الله -عز وجل- أن ينزع منكم هذه الأشياء، كما قال ربنا سبحانه وتعالى:{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا }

ألا تخافون أن ينزع الله -عز وجل- هذه الأشياء منكم؟!

{ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) }، { **أَطْوَارًا** } **فيها قولان:**

- **القول الأول**: أن الإنسان يمر قبل أن يولد بنطفة وعلقة ومضغة ثم يكون جنينًا، { يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ } فيمر بأطوار، هذا يدل على مدى ضعف الإنسان وأنه ليس ثابتًا، بل متقلب، وأن الذي يمر بهذه الأطوار حتمًا سيموت، وأن

الذي قلَّبه في هذه الأطوار هو الله -سبحانه وتعالى-، الله -عز وجل- هو الحي القيوم سبحانه وتعالى، إذًا الإنسان يعلم ضعفه من لحظة نشأته وهو ضعيف، فلماذا لا يخشى الله عز وجل؟!

- **ثانيًا:** أو { خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا }: أن الناس متنوعون مختلفون في طبائعهم، الناس مختلفة في الطبائع، فأيًّا كانت طبيعة الشخص لا بد أن يخشى الله -عز وجل-، سواء هو شخص شديد أو فيه رقة، أيًّا كانت طبيعة الشخص، كل الناس مطالبة أن تخشى الله -عز وجل- {{ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) }.

وكذلك أيضًا من *الهزائم النفسية* وأعاجيب التفاسير أن يأتي شخص يقول لك: أن هذا دليل على التطور {خلقكم أطوارًا} هو دليل على التطور واضح مثل الشمس!!!

طبعًا هذا تخريف، {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا}

هذه الآيات من أول {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} إلى الآية عشرين تحتاج إلى دراسة،

ما هي المواضيع التي طرحها نوح -عليه السلام-؟

- أهمية الاستغفار،
- عطاءات الله -عز وجل- لأهل الدين،
- فتح الله -عز وجل- الدنيوية لأهل الدين،
- عظمة الله -عز وجل-،
- ضعف الإنسان،
- نعم الله،

لأن { أَلَمْ تَرَوْا } في {(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ }هذه عطاءات عامة وكذلك في { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا }.

إذًا هذا **فن في الدعوة**، الإنسان يُحسن تذكير الناس بالنعم، يُحسن تذكير الناس بعظمة الله، يُحسن تذكير الناس بضعفهم وعجزهم..

أي أن المواضيع التي لا بد للإنسان من أن يطرقها حتى يصل الكلام إلى القلب -قبل أن يحدثهم عن تفاصيل الشريعة وقبل أن يحدثهم عن المطلوب منهم كعبادات تفصيلية-، عليه أن يدخل القلب من هذه المداخل ويطرق على هذه الأبواب في القلب، حتى إذا انفتح القلب قال لهم إن الله يأمركم بهذا وذاك..

هذا الأمر كما قالت أمنا عائشة " إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا"[١٠].. إذًا الداعية قبل أن يتحدث معهم عن التفاصيل التشريعية المطلوبة لا بد أن **يطرق على أبواب القلب** ويتحدث عن عظمة الله وضعف الإنسان وعجزه، يحتاج الإنسان إلى ربه لقدرة الله -سبحانه وتعالى- على أن يعطيه من النعم،

عليك أولًا أن تطرق هذه الأبواب، لذلك حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما تحدث عن تقسيم القرآن: (أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ ، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئينَ)، ثم انتهى بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (وفُضِّلتُ بالمفصَّلِ)[١١] أي أنه أُعطيَ مكان التوراة السبع الطوال وأعطيَ مكان الإنجيل المئين وفُضل صلى اللّه عليه وسلم بالمفصل.. والمفصل فيه خلاف هل يبدأ من سورة ق -وهذا هو الأغلب- أو من الحجرات أو من الفتح... أيًّا كان المفصل لو افترضنا أنه من "سورة ق"

---

[١٠] إنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقالَ: أيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قالَتْ: وَيْحَكَ، وما يَضُرُّكَ؟ قالَ: يا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، أرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قالَتْ: لِمَ؟ قالَ: لَعَلِّي أُؤَلِّفُ القُرْآنَ عليه، فإنَّه يُقْرَأُ غيرَ مُؤَلَّفٍ، قالَتْ: وما يَضُرُّكَ أيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ علَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وإنِّي لَجَارِيَةٌ ألْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أدْهَى وأَمَرُّ} وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إلَّا وأَنَا عِنْدَهُ، قالَ: فأخْرَجَتْ له المُصْحَفَ، فأمْلَتْ عليه آيَ السُّوَرِ.
الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٤٩٩٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

[١١] أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ ، وأُعطِيتُ مكانَ الزَّبورِ المئينَ ، وأُعطِيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ ، وفُضِّلتُ بالمفصَّلِ .
الراوي : واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة | المحدث : الألباني | المصدر : بداية السول | الصفحة أو الرقم: ٥٩ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

تفضيل النبي- صلى الله عليه وسلم- على الأنبياء بالمفصل أمر يحتاج إلى تفكير، حيث أن أغلبنا من الممكن أن يتعامل مع سور المفصل تعاملًا فيه زهد.. **هذا المفصل هو مفتاح القلوب لعموم الناس**.. فربما ليس سهلًا على جميع الناس فهم سورة البقرة ولا سورة النساء ولا سورة المائدة ولا سورة الأنفال، لكن عموم البشر يمكن أن تصل إلى قلوبهم بمعاني المفصل، وحيث أن دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- تمتاز عن دعوة باقي الأنبياء بأنها دعوة عالمية، كل نبي بُعث إلى قومه خاصة لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- بُعث إلى الناس عامة، هو فُضِّلَ بالمفصل، بهذه المعاني العامة التي تصلح لعموم البشر.. إذًا من المهم جدًا إتقان المفصل للنفس وللناس وللداعية.. الشخص الذي يريد أن يربي وأن يصل إلى الناس من المهم جدًا إتقان سور المفصل، وهذا أمر يحتاج إلى بحث في قضية (وفُضِّلتُ بالمفصَّلِ) هذا يحتاج إلى دراسة.

هنا في سورة نوح، **ما هي المواضيع التي طرقها نوح -عليه السلام-** حتى يستطيع الإنسان أن يدخل إلى القلوب، لأن الله -سبحانه وتعالى- هو من أنزل القرآن وهو من خلق الناس، فهو -سبحانه- يعلمنا كيف نصل إلى الناس، قال في كتابه: { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ } هو -سبحانه وتعالى- يعلم، فأخبرنا -سبحانه وتعالى- أن هذا المخلوق يتأثر بهذا الكلام، لذلك قال ربنا { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ } وهذه الآية جاءت في (سورة ق)، فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ (سورة ق) على المنبر فكان يُذكر بالقرآن وتحديدًا بهذه السورة "سورة ق"..

إذًا من المهم تذكير الناس بالقرآن، من وظائف النبي أنه { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ }...

المصيبة الكبرى في العُجمة التي أصابت الألسن والتي جعلت هناك فجوة كبيرة بين الناس وبين القرآن، **فإذًا وظيفة الدعاة الأولى هي كسر الحواجز بين الناس وبين كلام الله -سبحانه وتعالى-**،

لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- أن من فقه الداعية ومن فقه الإمام ومن فقه الخطيب أن يقصر الخطبة ويطيل الصلاة على المنبر، أن تكون الخطبة قصيرة والصلاة طويلة، لماذا؟

لأن الغرض الأساسي أن يسمع الناس القليل من كلام البشر والكثير من كلام الله، فالناس في حاجة لتعليقات بسيطة ولكن يحتاجون إلى سماع القرآن كثيرًا، ودور الدعاة كسر هذه الحواجز التي بين الناس وبين القرآن.

{ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا } انتهت الآيات التي طوف بها نوح عليه السلام في النعم والعظمة والقدرة، فقال نوح بعد كل هذا: يا رب استعملتُ كل الوسائل استغرقت كل الأزمنة بكل أنواع الكلام لمداخل قلوبهم بالرغم من ذلك { رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا } انتبه هنا

لابد من اتباع أحد

{ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا } تدل على أن الناس لابد لهم من اتباع أحد... لابد لهم من قائد،

لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (إنَّ اللَّهَ لا يقبِضُ العِلمَ انتزاعًا ينتزِعُهُ من صُدورِ الرِّجالِ ، ولكن يقبِضُ العِلمَ بقبضِ العلماءِ)[١٢]، العلماء يموتون، لذلك عندما يموت العلماء يحدث أن يتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا. إذًا فليعش الناس من غير علماء ومن غير قادة، لن يستطيعوا!

عموم الناس يحتاجون إلى قادة، عموم الناس يعيشون أتباعًا لقلة قليلة وهذه هي فكرة الملأ.

وهذا أحد عوامل –والله أعلى وأعلم– أحد عوامل نجاح الرأسمالية على الاشتراكية، أن الرأسمالية تعتمد على أن هناك ملأ هو الذي يتحكم في المال، والاشتراكية تقول بأن هناك شيوع... لذلك هذه الفكرة فشلت وسقطت. فكرة الرأسمالية قائمة على أن هناك قلة قليلة هم الذين يتحكمون في المال.

الشاهد { رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا } كثير من الناس معتقد أنه عندما ابتعد عن الشريعة أصبح حرًا ويظن أن الليبرالية هي الحرية، لا... **أنت لم تصبح حرًا بل أنت أصبحت عبدًا لمنظومة أخرى**، أنت رفضت المنظومة الإسلامية ودخلت في عبودية منظومة أخرى. تأتيك أوامر لتنفذها –بغير وعي منك– بأن تلبس الزي الفلاني وتحلق شعرك بهذا الشكل، أوامر وتنفذها، فأصبحت عبدًا في منظومة أُخرى تمامًا.. أنت كنت ترفض زيًّا معينًا وسمتًا معينًا، فها أنت الآن تأخذ أوامر أخرى..

---

[١٢] إنَّ اللَّهَ لا يقبِضُ العِلمَ انتزاعًا ينتزِعُهُ من صُدورِ الرِّجالِ ، ولكن يقبِضُ العِلمَ بقبضِ العلماءِ ، فإذا لم يَبْقَ عالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رؤُساءَ جُهَّالًا فَسُئلوا فأفتَوا بغيرِ عِلمٍ فضَلُّوا وأضَلُّوا=

=الراوي : – | المحدث : الألباني | المصدر : صفة الفتوى | الصفحة أو الرقم: ٧ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

فأحيانًا يعتقد أنه عندما يرفض الشريعة أنه بهذا قد تحرر، وفي الحقيقة هو لم يتحرر بل دخل في عبودية أشياء كثيرة: هوى وشهوات وأشخاص ورأسمالية وشركات.

ف { عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا } اتبعوا من؟ اتبعوا أصحاب الأموال وهذه الأموال أضاعتهم، { وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا } أي أنه عندما اختار أن يسمع كلام أحد، اختار أصحاب الأموال، من لم يزده ماله وولده إلا خسارًا. أصحاب المال والجاه هؤلاء {وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا }حتى يسيطروا على الناس، مكروا مكرًا عظيمًا، مكر الليل والنهار.. ومن الكتب الجيدة في هذا المجال كتاب اسمه ((الإعلام وصناعة الواقع)) للكاتب محمد علي، كتاب جيد يعرفك المجهود الذي يُبذَل لخداع الناس وسلب عقولهم، وكيف يستطيع هؤلاء الملأ أن يخدعوا الناس، وفيهم يقول الله -عز وجل-: { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا } من أعلى صيغ المبالغة.

الدعوة المضادة

فوصف الله -سبحانه وتعالى- يدل على أنه أمر عظيم... أو على أنه من كلام نوح -عليه السلام- معناه إدراك نوح عليه السلام لمكر أهل الباطل

{ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا }.. قالوا: ومن هذا المكر أنهم كان عندهم **دعوة مضادة**، السورة تتحدث عن دعوة سيدنا نوح، وهؤلاء لم يكتفوا بوضع الأصابع في الآذان ولا باستغشاء الثياب، بل قاموا بدعوة مضادة، والدعوة المضادة ليست في لا تسمعوا لنوح فقط،

- بل وردت آثار كثيرة أنه كان الرجل يأتي بولده إلى نوح -عليه السلام- ويقول له: هذا الرجل احذر منه فلقد جاء جدك إلى هذا الرجل وحذرني منه، آثار كثيرة ذكرها الإمام الطبري وغيره؛ **أن الأجيال تلو الأجيال كانت تُحَذِّر من اتباع نوح -عليه السلام-،**
- ليس هذا فقط بل كانوا ينادون بأن لهم شرعًا وعقيدةً لابد من أن يصبروا عليها {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ}.. كما قلنا أصحاب الأموال والأولاد {مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا}، ومن هذا أنهم كانوا يدّعون أنهم أصحاب عقيدة وقالوا للناس {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ}، لم يقولوا "لا تذرن الآلهة" بل قالوا { آلِهَتَكُمْ }، مثل ما يحدث عندما تريد أن تحمس أحدًا للدين فتقول له: اصبر على دينك، هم يفعلون كذلك ويحمسون الشخص فيقولون له: هذه آلهتك أنت، أتضحي بآلهتك؟ اتق الآلهة {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ}

كان يكفي أن يقولوا {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} بل أيضًا فصلوا {وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}... القرآن غالبًا مبني على الإيجاز في الألفاظ،

- **فلماذا هنا جاء تفصيل في ذكر الآلهة؟** لماذا الله -سبحانه وتعالى- عرفنا على لسان سيدنا نوح أنهم في دعوتهم المضادة كانوا يؤكدون على صنم صنم وليس فقط {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} هكذا وحسب، لا؛
- هم لا يريدون أن يخسروا أي صنم... أهل الباطل يدركون أن خسارة صنم واحد ستؤدي إلى خسارة كل الأصنام؛ وأن سواعًا سيتحطم حين يُحطَّم ودّ، وأن يعوقَ سيُحطَّم عندما يتحطم نسر.. هم يريدون المحافظة على هيبة كل الأصنام ويعرفون أن هدم صنم واحد كفيل بهدم هذه الهيبة.. لا يريدون خسارة أيّ صنم.. ولا أيّ قناة أو موقع، لا يريدون أن يخسروا أيّ شيء، لا يرغبون بالتضحية بشيء!

أما نحن فنضحي بسهولة بأيّ كادر، يضرب بعضنا بعضًا كأن الأمر عادي جدًا، نخسر بعضنا ونخسر دعاةً ويطعن كلٌّ منا في الآخر ببساطة! والخسارة عندنا صارت سهلة! لا ندرك قيمة هذا الأمر، لا نفهم أنه إذا طعنت فيك فأنا أطعن في جزء من الدين، لا ندرك أننا إذا ظللنا نتناطح في مسائل فرعية ومعارك وهمية فنحن نضرُّ الدين بالأساس؛ أنا أسقط هَيْبَتَك وأنت تُسقط هَيْبَتي، فمن المستفيد؟!

تأمل هنا الفقه والمكر، رغم أنهم لا يعترفون ببعضهم البعض ويعلمون أنها كلها أصنام قد يغيرونها في الغد لكنهم يخافون على زوال الهيبة {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ} تأكيد ومراجعة لكي لا ينسوا شيئًا، يراجعون عقيدتهم! أرأيت جهد أهل الباطل؟!!

تأمل طريقة تفكيرهم! ونحن بكل سلاسة وبكل سهولة نخسر معارَكًا، نخسر كوادرًا، نخسر أشخاصًا ودعاةً ويهدم بعضنا بعضًا!

{لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} تأكيد ومراجعة وحرص!

ضلال كثير

يقول: {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} يتألم الواحد منا كيف لهذه الأمور التافهة والأصنام أن تُضِلَّ الناس.

{ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ } سيدنا إبراهيم عليه السلام يتألم في سورة إبراهيم، وهنا نوح عليه السلام يقول: { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا } مستغرب كيف أن أمورًا تافهة تضل كثيرًا من الناس، من الممكن أن تجد أن مليار إنسان يعبدون البقر، من الممكن أن تجد مليارات الناس في ضلال، وبأسباب تافهة.

{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} وهنا نوح عليه السلام أيقن أن هؤلاء مُسِخَت فطرتهم وأعلمه ربه سبحانه وتعالى {أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ} فقال: {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا} هذا كافٍ، ٩٥٠ سنة لم يؤمن أي أحد وهناك إعراض شديد والبيئة أصبحت بيئة فاسدة لا تنتج إلا فاسدًا {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا}.

فقال ربنا سبحانه وتعالى: {مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ} كثير من المفسرين قال: هذا من قول الله عز وجل لنوح { مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ } "من" السببية أي بسبب خطيئاتهم، {مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا} أي بالطوفان {فَأُدْخِلُوا نَارًا} قيل أن الفاء هنا فاء التعقيب، {فَأُدْخِلُوا نَارًا} إما عذاب القبر أو أنهم يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا كفرعون وقومه، {فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} الكلام عن المستقبل يأتي بصيغة الماضي في القرآن لتأكيد ذلك {فَأُدْخِلُوا نَارًا} أي فسيدخلون النار يوم القيامة، {مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} لا المال ولا الولد ولا الأصنام ولا يعوق ولا نسر، كل هؤلاء لم يغنوا عنهم شيئًا {فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا}.

خطورة الابتداع في الدين

كنا ذكرنا في سورة الأعراف هذه المسألة بالتفصيل، وقلنا أن هذه الأسماء: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرًا هي أسماء لرجال صالحين..

هناك أثر مرويٌّ عن ابن عباس في البخاري –بعض المحققين قال أن في سنده شيء– الشاهد من المعنى أن أول العبادة والإشراك بدأ حينما جاء الشيطان للناس وقال: هؤلاء أناس صالحون ماتوا فنريد أن نتذكر عبادتهم.. ذكرنا كيف أن المجتمعات تتطور في المعصية وفي الفاحشة، وأن الأمر يبدأ بقولهم نريد أن نتذكر العبادات،

مثل ما جاء إبليس إلى قريش حينما فجر إساف ونائلة في الكعبة أو فعلا الفاحشة فمسخهما الله عز وجل صنمين أو حجرين، فوضعوا إساف على الصفا ونائلة على المروة حتى يتذكر الناس ويخافوا من الله،

فعُبدوا بعد ذلك! أرأيت ذلك؟ هم صنعوا هذه الأصنام لتذكرهم بالعبادة، فقال ابن عباس: " حتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ "[١٣] مرَّ الزمان وتنسخ العلم، الناس ينسون وهذه إشكالية ابتداع شيء في الدين على أساس أن الناس يفهمون؛ حسنًا وماذا عن الأجيال اللاحقة؟

هذه خطورة الابتداع في الدين، خطورة أن تضيف شيئًا في الدين تعتقد أنه كان من المهم إضافته، لذلك على الإنسان أن يحترز، كان الصحابة والسلف يحترزون جدًا من قضية أنهم يضيفون شيئًا، بل كانوا يتركون بعض الأشياء خشية أن يظن الناس أنها فرض، كالمرويِّ عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهما تركا الأضحية مثلًا أو غير ذلك؛ كان أحدهم يخشى أن يظن الناس في شيء أنه فرض، أو في العبادات يخاف أن يفعل شيئًا فيظن الناس أن هذه عبادة شُرعت وهو إنما يكون اجتهادًا شخصيًّا منه في العبادة.

دعاء بالهلاك

{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا* وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} أي لا يبقَ أحد في الديار، هنا نوح عليه السلام دعا على قومه بعد كل هذا المجهود وكل هذا التعب وكل هذا العناء.. ونوح عليه السلام من أول أولي العزم من الرسل؛ أما محمد صلى الله عليه وسلم وهو خير الرسل وهو من أولي العزم من الرسل وهو خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، قال له ربه سبحانه وتعالى: { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } على خلاف بين المفسرين في وقت نزول هذه الآية هل كانت لما دعا على قومه أو غير ذلك،

لكن النبي صلى الله عليه وسلم صبر على قومه وصابر، كان يمسح الدم عن وجهه صلى الله عليه وسلم ويقول: (رحِمَ اللهُ أخي موسى؛ لقد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن [هذا فصبَرَ])[١٤] فكان صلى الله عليه وسلم نموذجًا للصبر، وكان الله عز وجل يعوِّضُه، لذلك السورة التي بعدها أرسل الله له الجن.

---

[١٣] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهمَا، صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وُدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ.
الراوي : عطاء بن أبي رباح | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٤٩٢٠ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

عاد النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف والدم يسيل من قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم، وينزل له ملك الجبال وتأتيه الفرصة للانتقام، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفض ويقول: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلَابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئًا)[١٥] هكذا يكون الداعية.

{وَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}

- لماذا؟
- {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ} هناك مجموعة من المؤمنين يخاف عليهم سيدنا نوح عليه السلام، ومجموعة أخرى ربنا سبحانه وتعالى أعلمه أن هؤلاء لن يؤمن منهم أحد، فكان نوح عليه السلام يخشى على المؤمنين.. {يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} أي أن الموجودين تسببوا في الإضلال والذرية تتبع الآباء.

دعاء بالمغفرة

{رَّبِّ اغْفِرْ لِي} بعد كل هذا المجهود يطلب المغفرة، بعد كل المجهود الذي بذله سيدنا نوح، وتقرأ في سورة هود كيف أن سيدنا نوح عليه السلام يتلطّف ليطلب، لا يطلب بل يسأل يا {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} حتى أنه لم يطلب إنما هو يُعرِّض؛ قال إنه لما أخبره الله عز وجل {لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ} ثم أمره الله عز وجل أن يحمل في السفينة من أهله والمؤمنين ومن آمن من الأهل ووعده الله عز وجل أنه سينجيهم، فاعتقد نوح عليه السلام أنه سوف

---

[١٤] رحِمَ اللهُ أخي موسى؛ لقد أُوذِيَ بأكثَرَ من [هذا فصبَرَ].
الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : محمد جار الله الصعدي | المصدر : النوافح العطرة | الصفحة أو الرقم: ١٥٤ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

[١٥] أنَّها قالَتْ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ، قالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علَى وجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا أنا بسَحابَةٍ قدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ، فَنادانِي فقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، فَنادانِي مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ علَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، فقالَ، ذلكَ فِيما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئًا.
الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٣٢٣١ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

ينجي كل الأهل فقال: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي من أهلي} وأنت وعدتني بأنك ستنجي الأهل {وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ} أنت وعدتني لكن بالتأكيد هناك حكمة {وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}..

انظر ٩٥٠ سنة ويتأدب ويُعرِّض.. {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}..

تأمل هذا المشهد العجيب، أليس الواحد منا من الممكن أن يشتغل قليلًا في الدين ويحس أنه يُدلِ على الله! وسيدنا نوح عليه السلام هنا لما أمر قومه بالاستغفار

وها هو يستغفر، هو يطبق ما يقول {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}

وهنا هو يقول {رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ} بره بوالديه

{وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا} سيدنا نوح لما كان يدعوا كان لا بدّ من توفير مكان يستقبل فيه الدعوة، **يلزمك أن توفِّر بيئة أو مسجدًا لذلك**..

كثير من أهل العلم قال: هنا {بَيْتِيَ} أي مسجدي، سواء البيت أو المسجد لا بد أن تستقبل من يستجيب، ستكلمه طيب وماذا بعد ذلك؟ هذا الرجل قاتل المئة كان يحتاج إلى حل عملي، قال له: "اترك أرضك وانطلق إلى أرض كذا وكذا" وهو سأله سؤال: "هل لي من توبة؟" كانت الاجابة نعم، هو لم يجبه بنعم فقط بل قال: "وما يحول بينك وبين التوبة ولكن انطلق إلى أرض كذا وكذا"[١٦]؛ مسألة **تقديم الحلول العملية للتخلص من الذنب** ولا سيما للشخص الطالب الصادق؛ فنوح عليه السلام كان يستقبل المؤمنين في بيته {وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا}. ثم دعا وحرص نوح عليه السلام على انتشار الإيمان {وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} لكل المؤمنين والمؤمنات؛

---

[١٦] كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى راهِبٍ، فأتاهُ فقالَ: إنَّه قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ به مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عن أعْلَمِ أهْلِ الأرْضِ فَدُلَّ علَى رَجُلٍ عالِمٍ، فقالَ: إنَّه قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهلْ له مِن تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَن يَحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلى أرْضِ كَذا وكَذا، فإنَّ بها أُناسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ معهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أرْضِكَ، فإنَّها أرْضُ سَوْءٍ، فانْطَلَقَ حتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أتاهُ المَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فيه مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذابِ، فقالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تائِبًا مُقْبِلًا بقَلْبِهِ إلى اللهِ، وقالَتْ مَلائِكَةُ العَذابِ: إنَّه لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فأتاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بيْنَهُمْ، فقالَ: قِيسُوا ما بيْنَ الأرْضَيْنِ، فَإلَى أيَّتِهِما كانَ أدْنَى فَهو له، فَقاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنَى إلى الأرْضِ الَّتي أرادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ. قالَ قَتادَةُ: فقالَ الحَسَنُ ذُكِرَ لَنا، أنَّه لَمَّا أتاهُ المَوْتُ نَأى بصَدْرِهِ.

الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٧٦٦ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

لذلك بعض أهل العلم قال: "كما أن الله عز وجل استجاب دعاء نوح وأغرق كل قومه، نأمل أن يستجيب دعاءه ويغفر لكل المؤمنين والمؤمنات فننال هذا الدعاء"، {وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ}

في كل زمان قضية الولاء والبراء مطلقة، ليس فقط في قومه الظالمين بل في كل مكان {وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} أي هلاكًا.

نسأل الله عز وجل أن يستعملنا في الدعوة إليه وأن يميتنا على الدعوة إليه وأن يجعلنا ممن نشروا هذا الدين ونصروا هذا الدين، أسأل الله عز وجل أن يستعملنا ولا يستبدلنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.